

الأستاذة: لمياء عيطو

ليوم 06 و 07 / 04 / 2020

مقياس: النص الأدبي المعاصر

التطبيق موجهة لطلبة السنة الثانية دراسات أدبية ( الفوج 04/03/02/01 ) + ( الفوج 04 ) دراسات نقدية

تطبيق للمحاضرة رقم 04: الرواد والتجربة الشعرية 02 / نص حفار القبور.

ضوء الأصيل يغييم كالحلم الكئيب على القبور

واه كما ابتسم اليتامى أو كما بهتت شموع

في غيهب الذكرى يهوم ظلهن على دموع

والمدرج النائى تهب عليه أسراب الطيور

كالعاصفات السود كالأشباح في بيت قدم

برزت لترعب ساكنيه

من غرفة ظلماء فيه

وتتأب الطلل البعيد يحدق الليل البهيم

من بابه الأعمى ومن شباكه الخرب البليد

والجو يملؤه النعيب

فتردد الصحراء في يأس واعوال رتيب

أصداءه المتلاشيات

والريح تذروهن في سأم على التل البعيد

وكأن بعض الساحرات

مدت أصابعها العجاف الشاحنات الى السماء

تومي الى سرب من الغربان تلويه الرياح

في آخر الأفق المضاء

حتى تعال ثم فاض على مراقيه الفساح

فكأن ديدان القبور

فارت لتلتهم الفضاء وتشرب الضوء الغريق

وكأما أزف النشور

فاستيقظ الموتى عطاشى يلهثون على الطريق

وتدفع السرب الثقيل  
يطفو ويرسب في الأصيل  
لجبا يرنق بالظلام على القبور الباليات  
وظلاله السوداء تزحف كالليالي الموحشات  
بين الجنادل والصخور  
وعلى القبور  
وتنفس الضوء الضئيل  
بعد اختناق بالطيوف الراحات وبالجمام  
ثم ارتخت تلك الظلال السود وأنجاب الظلام  
فإنجاب عن ظل طويل  
يلقيه حفار القبور  
كفان جامدتان أبرد من جباه الخاملين  
وكأن جولهما هواء كان في بعض اللحود  
في مقلة جوفاء حاوية يهوم في ركود  
كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين  
وفم كشق في جدار  
مستوحد بين الصخور الصم من أنقاض دار  
عند المساء ومقلتان تحدقان بلا بريق  
وبلا دموع في الفضاء  
هو ذا المساء  
يدنو وأشباح النجوم تكاد تبدو والطريق  
خال فلا نعش يلوح على مداه ولا عويل  
الا النعيب  
وتنهذ الريح الطويل  
وعلام تنعب هذه الغريان والكون الرحيب  
باق يدور يعج بالأحياء مرضى جائعين

بيض الشعور كأعظم الأموات لكن خالدين  
لا يهلكون علام تنعب ان عزرائيل مات  
وغدا أموت غدا أموت  
وهز حفار القبور  
يمناه في وجه السماء وصاح رب أما تثور  
فتبيد نسل العار تحرق بالرجوم المهلكات  
أحفاد عاد باعة الدم والخطايا والدموع  
يا رب ما دام الفناء  
هو غاية الأحياء فأمر يهلكوا هذا المساء  
سأموت من ظماء وجوع  
ان لم يمت هذا المساء الى غد بعض الأيام  
فابعث به قبل الظلام  
يا رب أسبوع طويل مر كالعام الطويل  
والقبر خاو يفغر الفم في انتظار في انتظار  
ما زلت أحفره ويطمره الغبار  
(ملاحظة ما زالت القصيدة طويلة)

### التحليل:

كما جرت العادة دائما ما تكون الحصة التطبيقية تابعة لما قدم في المحاضرة من معلومات عامة، بحيث يتم التطرق إلى نص شعري أو نثري ثم استكناه أهم الجزئيات العامة المتطرق إليها في ما سبق.

والنص الذي سنتحدث عنه اليوم هو حفار القبور لبدر شاكر السياب أحد أقطاب التجربة الشعرية الجديدة، هذا النص كغيره من النصوص التي درستوها سابقا تصدق وتصلح فيه طرائق مختلفة للتحليل ولأن الوضع الآن يمنعنا من التواصل المباشر سيكون اعتماد الطريقة المعهودة صعبا نوعا ما، ولكن تستطيعون فك مغاليق القصيدة بسهولة بحسب الخطوات التي قدمتها لكم سابقا.

أما الآن فسننتظر إلى شرح القصيدة ثم العودة إلى الجزئيات المقدمة في المحاضرة واستخراجها من القصيدة ثم التطرق لها بنوع من التحليل.

قصيدة حفار القبور نشرت عام 1952، مستمدة من تجربة الشاعر الواقعية ركز فيها الشاعر على الناحية التصويرية، ولعل هذا أبرز ما يميز القصيدة من الناحية الفنية فنحن نحس أن الجو ينتمي إلى قطاع من عالم الأموات، مجموعة من الصور المتلاحقة، ترسم صورة كبيرة لا يتخللها إلا نور ضئيل، وتسيطر عليها صبغة الموت والظلمة إنها صورة فقدت معنى الأمل وبسمته وضيائه، فزادت القصيدة نأيا عن حل مشكلة الإنسان، فقط طرحت الفكرة طرحا موحيا ومقنعا.

يقول إحسان عباس في معرض حديثه عن مضمون القصيدة « حفار القبور هو الرجل الجائع الذي يموت إن لم يمت الناس، فهو يكره السلام ويتمنى الحرب ويمقت الكسل والخمول عند عزرائيل، ومن أجل ذلك يتفنن في تصوراته التي تنعش له مهنته، ويتمنى على الله أن يبطش بالناس "نسل العار" ويهلكهم بالرجوم »

يا رب ما دام الفناء

هو غاية الأحياء فأمر يهلكوا هذا المساء

سأموت من ظمأ وجوع

ان لم يمت بعض الأنام

كل هذا لأن حفار القبور لا وجود لمهنته إلا بوجود الحرب، غير أنه حفار بوهيمي لا يكاد يجد المال في جيبه حتى يندفع الى الحانات ودور البغايا ( ما يثبت ذلك هو المقطع المتبقي من القصيدة الذي ألغيناه لأن القصيدة طويلة جدا واكتفينا بالمقطع الأول منها )

لقد أوقع السياب نفسه في موقف لا انساني حين جعل الحرب موضوعا للأخذ والرد وليس في الوجود ما يحسن الحرب من حيث المبدأ الإنساني العام حتى ولا من منطق حفار القبور القائم على جوعه وعوزه، لأن الحرب في حقيقتها قد تأكل الحفار قبل أن تهيء له الطعام وهي ناحية لم يلتفت إليها الشاعر ولأن الموتى في الحرب لا يدفنهم حفار بأجر وهي ناحية أخرى من الواقع. فالروح المخربة التي تسكن في جسم ذلك الرجل الحفار تجعلنا نضحى به من أجل المجموع وخاصة حين يكون الحفار رمزا للطاغية المستبد في الأمة يضحى بأبنائها من أجل أن يأكل، ويحفر في كل يوم قبرا أو قبورا ليداوي حمى الجشع في نفسه، ولقد كان في استطاعة الشاعر أن يتخذ من الحفار رمزا للقوى المتحررة لا لعبودية الغرائز.

لقد نظم السياب هذه القصيدة في غمرة نقمته على نفسه وعلى أبيه، ليتلذذ بتعذيب نفسه المتهالكة على الشهوات ( الشهوات تظهر في المقطع المتبقي من القصيدة ) وتعذيب أبيه الحفار القديم الذي دفن أمه، وجعل من الابن ذرية معقورة عند القبر أي حفارا جديدا آخر وامتزجت الصورتان معا في شخصية حفار القبور مع التحوير الشعري اللازم لبناء

القصيدة. وبهذا نجد بأن الشاعر قد أضع في قصيدته الجانب الرمزي ولم يوفر للقارئ أي مجال للربط بين الجبرية التي يعانيتها حفار القبور في عالم الفقر وبين الدمار الحقيقي الذي يصنعه تجار الأسلحة في عالم الثراء الفاحش.

يفتح الشاعر قصيدته برسم الجو الطبيعي وقد أخذ ضوء الأصيل يخيم على القبور، وأسراب الطيور تملأ الجو نعيبا تردد صدها الصحراء، ثم أخذ ضوء ضئيل يتنفس على رقصاته المرتعشة ظهر ظل طويل لحفار القبور :

كفان جامدتان ابرد من جباه الخاملين

وكأن حولهما هواء كان في بعض اللحود

في مقلة جوفاء خاوية يهوم في ركود

كفان قاسيتان جائعتان كالذئب السجين

وفي كشق في جدار

هي صورة قد ماتت فيها الإنسانية وتزداد فيها الوحشية وهو يناجي نفسه ويلعن عم مرارته الكامنة لأنه لا يرى نعشا يلوح على المدى، فلما اذن تنعب الغريان؟ ولم يعيش المرضى الجائعون؟ ان ذلك معناه أنه سيموت ولذلك فهو يتوجه إلى مخاطبة الله لعله يرأف بحاله فيأمر باهلاك نسل العار، فقد مضى عليه أسبوع وهو يحفر ثم يملأ التراب المتهايل ما حفر.

وتجاوز الغاية المحققة من القصيدة فإننا نجد بناءها مسترسلا يشبه قصة قليلة الأحداث ركز فيها الشاعر على الجانب التصويري فنحن نحس أن الجو ينتمي إلى قطاع عالم الأموات ولذلك يتضاءل فيه النور وتملؤه الغريان بنذر من الشؤم، وكأن بعض الساحرات مدت أصابعها العجاف إلى السماء وكأن ديدان القبور خرجت من مكانها، واستيقظ الموتى عطشى يتلاهثون، وتضاف إلى هذه الصورة صورة ميت حي موكل بدفن الموتى، فإذا صورته صورة ميت قد أدرك الجمود يديه ولاح فمه كشق في جدار، ثم تجتمع إلى ذلك كله صورة القبر الفارغ الذي تتشاب فيه الظلماء، ثم تتلوها صورة الدمار الذي تخلفه الحروب.

إن كلا من التصوير والحكاية لا ينفصلان في القصيدة، فهما تكوين منصهر في إطار واحد، فالفضاء الزماني والمكاني للقصيدة يظهر من خلال الصور التي تعمم الأثر النفسي لزمان القصيدة ومكانها، فالقصيدة تبدأ بلحظة الغروب وقدم الليل وتمتد اللحظة الزمنية حتى اليوم التالي الذي يغيب فيه النهار ويتصل بالمساء والليل، وهذا يدل على أن القصيدة تتحرك في الظلام الذي يتلاءم مع الأجواء الكئيبة والحال النفسية التعسة لحفار القبور، والمكان أيضا يحمل دلالات البؤس والمقبرة التي تبرز فيها ملامح الشقاء والتعاسة. أما الشخصيات فيبرز الحفار كشخصية رئيسية وحيدة في القصيدة ملمحها الأساسي القسوة.

لقد اختار الشاعر للقصيدَة تفعيلة بحر الكامل متفاعِلن لكي تكون ملائمة للسرد القصصي، لأن اختلاف عدد التفعيلات من سطر إلى آخر يخدم الأسلوب القصصي فهذا التصوير البارِع لأجواء الموت والدفن قد زادت تفعيلة البحر قوة في التصوير وأضفت على الوصف لونا موسيقيا من رهبة الموت ووحشة الليل والقبور، كما أن الكلمات التي كثرت فيها حروف المد الصائتة (الألف والواو والنون) قد ساندت الإيقاع الموسيقي العام الناجم عن تفعيلات البحر المترادفة والمتفاوتة في كل سطر.

### بعض المراجع المعتمدة:

- 01- يوسف حسين حمدان: الصورة وبنية الحكاية في قصيدة حفار القبور، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، مجلد 42، ملحق، 01، 2015م.
- 02- إحسان عباس: بدر شاكر السياب دراسة في حياته وشعره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط06، 1992م.